

رفع الجدل

يا بطلان دعوى منكري الجدل

تأليف
فضيلة الشيخ

إبي عبد الله محمد بن عبد الجبار الجبوري

رحمة الله تعالى ورفع قدره



hasona.net

سيرة الإمام

حقوق الطباعة محفوظة

مصدر هذا الكتاب هو الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ
يسمح بنشره والانتفاع به، ولا يسمح بطباعته إلا بعد التواصل مع ورثة الشيخ



hasona.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من: أبي عبد الله محمد بن عبد الحميد..... كان الله تعالى له.
إلى: أخيه خطيب الجمعة عمم الله به النفع، آمين.

سلام عليكم، أما بعد:

مما تُتلى ويُتلى على الناس على أعواد المنابر وكثر: القول بدم الجدل في الدين
- هكذا بإطلاق-؛ لما يعقبه من كدر.

وهذه الدعوى -غالبًا، بحسب تباعي لها- مصحوبة من قائلها بنشوة العظمة
الكاذبة، وطغيان الوجاهة الزائفة، الصادرة عن كبر مع جهل، مرجعها لعدم الوقوف
على حقيقة العلم، وقدر النفس.

فيشعرك متعاطيها بأنه هو الخطيب المصقع، وأنه هو العلامة الفهامة المرقع،
وإنه المرجعية العلمية التي يجب أن يرجع إليها؛ وذلك لكونه من ذوي العجة
والعمامة الحمراء -التي تنذر بخطر الاقتراب-، أو أنه صاحب الدُّربة والخبرة
الواسعة، فارس الميدان، وإمام أهل الزمان بل الأزمان، الخبير بواقع الأنام.

وكم تتنابني الحسرات، ويغلبني الأسى، وهم يتكلمون بكلام الحبيبيق
-الأحمق- الذي ما درى فقهاً، ولا رُزق فهمًا -إلا من رحم-.

وعجيب هو حال الناس بعد خطبته تلك -العرجاء الشوهاء والتي شرق فيها
وغرب وجمع فيها بين متفرقات، خطبة خداج بتراء، بلا منهجية علمية، ولا هدف

تربوي- يقومون عنها ولا منكر؛ إذ الخطيب الملهم قد حذر من الجدل، وإذا أنكرت تبسم لك تبسم الليث، وعزا إلى درره التي ألقاها حينما كان ممتطياً المنبر. لا، بل يجد من بعض النيام مدداً! وهكذا يضيع الحق بين كبر الجاهل، وغفلة السامع، ويذهب خير اللقاء الإيماني الأسبوعي الجامع. لأجل ذلك انتخبت هذه الأحرف؛ مذكراً السادة الخطباء، بضرورة الخوف من الله تعالى أولاً.

ثم بأن يتقوا الله ويحترموا عقول المخاطبين؛ فيحضروا لذلك المشهد العظيم والمحفل الجليل تحضيراً يسعدون به يوم الدين. ويستشعروا قيمة الأمانة العلمية المنوطة بهم. ويتزودوا -بل يتضلّعوا- بالعلم تزوداً.

وفي هذا المقام نتحدث عن الجدل والجدال بحسب الإمكان، وفي حينه نتكلم عن الخطبة العلمية المرجوة وضوابطها، والله الموفق، فأقول:

«في اللغة العربية ثلاث كلمات دائرة في الاشتراك عند البحث في أمر من الأمور:

- المناظرة.
- الجدل أو الجدال.
- الحجج والمحااجة أو الحججاج.
- والمناظرة^(١) لم ترد في القرآن الكريم.

(١) والمقصود: لفظ المناظرة. وأما حقيقتها، فكثيرة فيه.

أما الجدل والحجاج: فإنهما يردان في القرآن الكريم كثيرًا (١).



(١) والمناظرة في «تاج العروس» (١٤/٣٥٤): «أن تناظر أحاك في أمر إذا نظرتما فيه معًا كيف تأتيانه، وهو مجاز، والمناظرة والمباحثة والمباراة في النظر. أما النظر هنا فهو: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه؛ لأن كل قياس نظر، وليس كل نظر قياسًا».

والحجج: هو الغلبة، فالحجة -بضم الحاء- يقال: حج يحججه -بضم الحاء- إذا غلبه على حجته. وأنا أحج خصمي: أغلبه بالحجة. والحجة: مصدر يعني: الاحتجاج، أي الاستدلال.

أما الجدل: فهو اللدد في الخصومة، والقدرة عليها. «القاموس المحيط» (٣/٢٤٦-٣٤٧).

وأما اللدد: فهو الخصومة الشديدة مع الميل عن الحق «المعجم الوسيط» (٨٢٧).

ومن الألفاظ ذات الصلة:

المناقشة: وهي مراجعة الكلام بقصد الوصول إلى الحق غالبًا «لسان العرب»

المراء: المراء والممارة: الجدل، يقال مريته إذا طعنت في قوله؛ تزييفا للقول، وتصغيرًا

للقائل. قال القيومي: ولا يكون المراء إلا اعتراضًا، بخلاف الجدل: فإنه يكون ابتداء

واعترضًا «المصباح المنير» و«دليل الفالحين» (٣/٨٠) نقلًا عن «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٥/١٢٦).

المجادلة بالحق من سنن الأنبياء

وورثتهم تبعاً لهم، إذ هم أحق بها وأهلها، عند الضرورة الملجئة

«المجادلة بالحق من سنن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع الأمم عند الدعوة، والجدال بالحق لإقامة الحجة على أهل الإلحاد والبدع من الجهاد في سبيل الله، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» أخرجه أبو داود وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. قلت: ووافقهما الألباني كما في صحيح الجامع (١/٥٩٣) برقم (٣٠٩٠).

وإنما يكون الجهاد باللسان بتبيين الحق بالحجة والبرهان، لا بالشغب والهديان والسب والشتم.

والقرآن أبلغ في حججه وبراهينه^(١)، ولهذا أمر الرسول ﷺ أن يجاهد الكفار بالقرآن^(٢)؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

والجدال بالحق من النصيحة في الدين؛ وفي قصة نوح ﷺ قولهم له: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢]،

فكان جوابه لهم قوله: ﴿... وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

(١) قلت: وكذا السنة؛ إذ القرآن والسنة صنوان، وكلاهما وحي معصوم.

(٢) قلت: ما اجتمعت القلوب عليه، وإلا فالسنة مفسرة ومفصلة وقاضية.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في قصة وفد نصارى نجران، وما اشتملت عليه من فوائد ما نصه:

«ومنها: جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام ما يرجي إسلامه منهم، وإقامة الحججة عليه» «زاد المعاد» (٤٢ / ٣)

وقال الشوكاني -رحمه الله تعالى- عند تفسير قوله: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: ٤]:

«أي: ما يخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها، إلا الذين كفروا...»

فأما الجدل؛ لاستيضاح الحق، ورفع اللبس، وتمييز الراجح من المرجوح، ودفع ما يتعلق به المبطلون، فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون «فتح القدير» للشوكاني (٤٢ / ٣)، والنقل عن «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٥ / ١٢٨).



نوعا الجدل

وعليه نقول: إن الجدل نوعان: مذموم، ومحمود.

والله - سبحانه وتعالى - قد أوجب الجدل المحمود، ودلّ على جميع آدابه: من الرفق، والبيان، والتزام الحق، والرجوع إلى ما أوجبه الحجة القاطعة، وسيأتي.

فإن جدال المحمود الواجب: هو الذي يجادل متوليه في إظهار الحق.

والمذموم وجهان بنص القرآن:

فأحد الوجهين المذمومين من الجدل: جدال من جادل بغير علم.

والثاني: من جادل ناصرًا للباطل بشغب وتمويه بعد ظهور الحق له.



أدب الجدل

منذ زمن قديم قيل في هذا الباب «مناظر ك نظيرك» أي: مثيلك، وللمناظرة أصول وقواعد وآداب يجب أن تُتبع، منها:

أولاً: يجب أن يُعلم أن الجدل جائز، وفي القرآن الكريم سورة اسمها «المجادلة»، وكونه أمر ديني؛ فيفتقر كباقي العبادات لنية صالحة.

ثانياً: المتناظران - المتجادلان - يجب أن يكونا عارفين بالموضوع الذي يجري فيه جداله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسَ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج: ٨].

ثالثاً: لا يجوز الجدل بالألفاظ (التلاعب بالمدارك وتسميتها بألفاظ متشابهة؛ تضلل الخصم عن وجه الحق)، قال تعالى: ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٧١-٧٠].

رابعاً: الجدل يجب أن يكون بالحسنى؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥-٤٦].

وقوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

خامساً: ولا يجوز الجدل حباً بالجدال أو إصراراً على الخطأ؛ قال تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ [الكهف: ٥٥-٥٦].

وقال تعالى: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥-٦].

سادساً: ولا جدال فيما أنزل الله؛ قال تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [غافر: ٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٥-٥٦].

سابعاً: أن يكون الاثنان طالبي حقيقة ومريدي بيان، والذي يكون منهما على يقين من أمره ببرهان قاطع، يريد أن يوصل إلى مناظره من الحقيقة مثل ما عنده، ثم يحاول أن يحلّ شك هذا الغالط المخالف له، أو المغالط... فتلك مناظرة فاضلة، حميدة العاقبة يوشك أن تنحل عن خير مضمون أو خير آخر موفور.

وهي التي أمر الله تعالى بها إذ يقول: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وإذ يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

ثامناً: وأما إذا كانت المتناظران معاً غالطين، أو مغالطين، أو كان أحدهم جاهلاً طالباً للحق، والثاني غالطاً أو مغالطاً، فتلك مناظرة يكثر فيها الشغب، ويعظم النصب، ويكثر الصخب، ويشتد الغضب ويوشك أن تشتد مضرتها. وأما منفعتها: فلا منفعة...

والطريقة في ذلك: تخيير الخصم أن يكون سائلاً أو مسؤولاً، فأيهما تخير: أجنبناه... فإن ردّ الخيار إلينا، اخترنا أن يكون هو السائل؛ لأن هذا العمل هو أكثر قصد الضعفاء، وعمدة مرغوبهم، وهم يضعفون إذا سئلوا، فنختار حينئذ حسم أعدارهم، وتوفيتهم أقصى مطالبهم، التي يظنون أنهم فيها أقوى، ويكون ذلك أقوى في قطع معالقتهم...

ومما تقدم نرى أن الله تعالى قد حصّ على المجادلة بالحق، وأمر بطلب البرهان.

وقد صحّ أن طلب الحجة هي سبيل الله عز وجل وصحّ بالنصّ أن من نهى عن ذلك، وصدّ عنه، فهو صاد عن سبيل الله تعالى...

وبالجملة فلا أضعف مما يرون إبطال الجدل بالجدال...» انظر «المناظرات» محمد سعيد كمال ص (١٣/١٨) بتصرف.

وأخيراً: هذا نداء لكل مسلم تقع عينيه على هذا الخطاب أو تسمعه أذنه، اتقوا الله فإن الأمر دين، انصتوا للخطبة، وتعلموا ما فيها من خير، واعملوا به، وعلموه ذويكم وزراريكم.

وإن وجد خطأ، أو إبهام، أو إيهام، أو نسيان، أو كان هناك استفسار: فلا تردد في الذهاب إلى الخطيب، بوقار وتوقير، وافصح له عن فهمك، وأعرب له عن قولك.

فإن كان صواباً، وجب عليه قبوله، فإن أبي، فانكر أنت عليه، وطالبه بالدليل أو التعليل، فإن تمادى، مع وضوح الحق وظهوره، يرفع الأمر إلى ولاية أمر المسجد؛ للبت فيه ومن ثم البث.

وإن كانت الأخرى: ظهر لك وجه الحق أبلجا، وثبت عقد يقينك عليه.

إن عجزتم جمعياً عن معرفته والوقوف على حقيقته، فهذا قد فتح لكم باب من أبواب الخير - أعني: المباحة أو سؤال أهل العلم - عملاً بقوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، وهذا سؤال - والحالة هذه - عبادة؛ لما تقدم.

وبذا يظهر الحق، ويعم الخير، وتفتح لنا أبواب البركات وتصب علينا الخيرات، وتنزل الرحمات؛ لتغمر جميع النسمات المؤمنة.

الله تعالى المسؤول لك وأزواجك البهاليل أن يوفقوا - علمًا وعملاً ودعوة وصبراً - للخير الذي كان عليه النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - وصحبه - الكرام - والتابعون - لهم بإحسان - وأن يجزل لكم المثوبة ويضاعف لكم الأجور، يا حسنة أيامنا، وزينة دنيانا، ونجوم سمائنا.. لله دركم.

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.
والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله

محمد بن عبد الحميد بن محمد حسونة

في: ١١ / ١١ / ١٤٢٤ هـ الموافق: ٤ / ١ / ٢٠٠٤ م